

المعرفة عند ابن حزم
دراسة في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل

إعداد

هاشم جداوي

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث
(قسم أصول الدين ومقارنة الأديان)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

سبتمبر ٢٠١٣م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان الفهم الذي قدّمه ابن حزم عن المعرفة وأدواتها في كتابه الفصل وذلك من خلال خمسة فصول: تناول في الأول منها المداخل المنهجية، ثم تعرض في الثاني والثالث إلى ترجمة ابن حزم ونسبه وصفاته، وتعريف العلم عند ابن حزم لغة واصطلاحاً، وبيان مدى أهميته، وذكر مصادر المعرفة عند ابن حزم من القرآن والسنة والكتب المقدسة والمنطق والتاريخ معتمداً على منهج يجمع بين الإستقراء والتحليل، ثم توقفت الدراسة في الرابع عند بيان الأدوات المعرفية عند ابن حزم من حسّ وخبر وعقل، وفي النهاية تناولت البحث من خلال الفصل الخامس عند الحديث عن ظاهرية ابن حزم ومدى التزامه بها. وملخص ما توصل إليه هذا البحث من النتائج هو أن ابن حزم لا يعتبر الحس والخبر من الأدوات المعرفية إلا إذا كان موافقاً مع العقل، وأنّ منهج ابن حزم منهج خاص به يقال له الحزمية، فهو لم يكن ظاهرياً بحتاً، بل يعدل عن ظاهرية أحياناً ويذهب إلى التعليل والتأويل بثلاثة شروط: ضرورة النص وإجماع متيقن وضرورة الحس.

ABSTRACT

This research aims to indicate the understanding of Ibn Hazm concerning knowledge and its tools illustrated in his book "al-Fasl". It consists of five chapters: The first chapter discusses the methodological approaches. The second and third ones represent a methodology as which it encapsulates induction and analysis together. Additionally, Biography, lineage and attitudes of Ibn Hazm will be examined in these chapters. These chapters also, evaluate the definition of science either terminologically or idiomatically as well as significance of that from Ibn Hazm's point of view. The motif of Ibn Hazm about the validity of sources of knowledge such as Quran, tradition, history, scripture and logic will be pointed out in these two chapters as well. Chapter four elucidates the notion of Ibn Hazm with regard to the tools of knowledge such as intellect, perception and report. Finally, Chapter five while clarifies that Ibn Hazm was a Zāhirî, at the same time identifies that to what extent he had been engaged in this sect. All in all, as a summary of this research it would be said that Ibn Hazm does not account perception and report as independent tools of knowledge unless they are verified by intellect. The methodology of Ibn Hazm would be a specific one called al-Hazmīyah. This methodology is not precisely Zāhirīyah rather it presumably passes that and moves towards reasoning and interpretation yet embeds three conditions; the necessity of absolute statement, the certain consensus and the necessity of perception.

APPROVAL PAGE

I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion, it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a dissertation for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usūl al-Din and Comparative Religions)

.....
Ibrahim Mohamed Zein
Supervisor

I certify that I have read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a dissertation for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usūl al-Din and Comparative Religions).

.....
Anis Malik Thoha
Examiner

This dissertation was submitted to the Department of Usūl al-Din and Comparative Religions and is accepted as a fulfilment of the requirement for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usūl al-Din and Comparative Religions).

.....
Thameem Ushama
Head,
Department of Usūl al-Din and
Comparative Religions

This dissertation was submitted to the Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as a fulfilment of the requirement for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usūl al-Din and Comparative Religions).

.....
Ibrahim Mohamed Zein
Dean
Kulliyyah of Islamic Revealed
Knowledge and Human Sciences

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Hashem Jadavi

Signature.....

Date.....

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٣ م محفوظة ل: هاشم جداوي

المعرفة عند ابن حزم: دراسة في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
- ٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسسية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
- ٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
- ٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغيير العنوان.
- ٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يستجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبيين به.

أكد هذا الإقرار: هاشم جداوي

التوقيع:

التاريخ:

إلى الوالدين الكريمن اللذين رباني صغيراً، ورعياني كبيراً، أدام الله في عمرهما وعافاهما

وإلى زوجتي شريكة درب والحياة التي كانت لي خير أنيس ومعين

وإلى كل طالب علم وباحث عن الحقيقة

أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبذكره وشكره تنزل الخيرات والبركات، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه، وعلى من سار على نهجه وسنته إلى يوم الدين.

أرى من الواجب بعد عونته سبحانه وتعالى وتوفيقه إياي لإكمال هذه الرسالة أن أحمده وأشكره على هذه النعمة العظيمة وأثني بعد شكر الله بشكر الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وقسم أصول الدين ومقارنة الأديان التي أتاحت لي فرصة الدراسة فيها، وعلى ما تقدمه للطلبة من تعليم وتوجيه وتشجيع يهدف إلى بناء مستقبل نير لشباب المسلمين.

ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الكريم الدكتور إبراهيم زين على تفضله بالإشراف على بحثي، وأسدي خالص تقديري على ما قدمه لي من ملاحظات قيمة، وتوجيهات وإرشادات دقيقة ساهم في توجيه هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية لما قدموه لي من تسهيلات وخدمات والتي بحق كان لها دور كبير في توفير الجو الأكاديمي والعلمي الرائع. وأتقدم بشكري وامتناني إلى جميع الأساتذة والإخوة والأصدقاء من قريب أو بعيد الذين أسدوا إلي المشورة والنصيحة وعلى ما قدموه لي من مساعدة وجهد.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، والحمد لله رب

العالمين.

فهرس المحتويات

ب	ملخص البحث
ج	ملخص البحث بالانجليزية
د	التصريح
و	إقرار بحقوق الطبع
ز	الإهداء
ح	الشكر والتقدير

١	الفصل الأول: الفصل التمهيدي
١	المقدمة
٢	مشكلة البحث
٣	أسئلة البحث
٣	أهداف البحث
٣	حدود البحث
٤	منهج البحث
٤	الدراسات السابقة

٩	الفصل الثاني: ترجمة ابن حزم
٩	اسمه ونسبه
١١	مكانته العلمية
١٤	صفاته وأخلاقه

٢٢	الفصل الثالث: المعرفة ومصادرها عند ابن حزم
٢٢	المبحث الأول: معنى المعرفة لغة واصطلاحاً وبيان مدى أهميتها
٢٢	المعرفة لغة
٢٣	المعرفة اصطلاحاً
٢٧	أهمية المعرفة ومكانتها
٢٨	المبحث الثاني: القرآن والسنة
٣١	المبحث الثالث: الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى
٣٣	المبحث الرابع: المنطق
٣٦	المبحث الخامس: التاريخ

٣٩	الفصل الرابع: أدوات المعرفة عند ابن حزم ومنهجه في الاستدلال
٣٩	تمهيد
٤٢	المبحث الأول: الحس
٤٥	المبحث الثاني: الخبر
٤٧	المبحث الثالث: العقل

٥٠	الفصل الخامس: ظاهرية ابن حزم
٥٠	المبحث الأول: تعريف الظاهرية
٥٢	المبحث الثاني: معالم ظاهرية ابن حزم ومدى التزامه بها
٥٣	الأخذ بظاهر الكتاب والسنة
٥٤	حجية إجماع الصحابة فقط
٥٤	الإعراض عن التعليل والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة
٥٥	حجية خبر الواحد في العقائد والأعمال
٥٦	منع التقليد مطلقاً على الخاصة والعامة
٦٠	المبحث الثالث: أثر ظاهريته في نقده نصوص أهل الكتاب

المبحث الرابع: بيان مدى استقلاله في طلب الحقيقة ٦٥

الخاتمة ٦٩

المصادر والمراجع ٧١

الفصل الأول

الفصل التمهيدي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهداهم واتبع سنتهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين. مع التطورات العلمية المتعددة التي لعبت دوراً هاماً في حياة الإنسان منذ مطلع القرن الماضي، ظهرت اتجاهات فلسفية جديدة، ومدارس فكرية تأثرت بكل ما جاء به العلم الجديد من تغييرات وتعديلات ومن بين أهم التطورات الفلسفية التي ذاعت، ما يطلق عليه نظرية المعرفة العلمية.

وفي الحقيقة كل إنسان طبيعي عندما يتصرف، أو يتخذ موقفاً تجاه حدث معين، أو قرر الإقدام على فعل معين أو ترك هذا الفعل، فإنه في الحقيقة يتصرف، بناءً على ما يعتقد، ويؤمن به، وهذا المعتقد الذي يعتقد الإنسان إنما ينشأ من طريقة نظره لهذا العالم، فالإنسان عندما ينظر للعالم ويؤمن أنه لا يوجد سوى هذا العالم المادي، فإنه سيعتقد أن كل ما يؤدي إلى الاستمتاع بهذا العالم المادي هو شيء حسن وجيد وله قيمة، على العكس عندما يرى أن العالم المادي له نهاية، وتوجد حياة أخرى بعده، فما يعتقد أنه حسن وما يعتقد أنه قبيح قطعاً سيتغير وكذلك أفعاله قطعاً ستتغير، وكذلك كل حياته، إذ الاعتقاد الأساسي أو نظرة الإنسان للكون تتوقف عليها كل حياته، وأفعاله وتصرفاته، لذلك هي مهمة جداً.

ينقسم الفلاسفة في إطار نظرية المعرفة إلى اتجاهين أساسيين: الاتجاه الأول، يربط المعرفة بعوامل تتصل بالذات باعتبارها مصدر كل معرفة ممكنة، ويجد هذا الاتجاه جذوره في الفكر اليوناني الذي رفع من قيمة الإنسان كذات واعية ومفكرة، كما نجد امتداداته مع عصر الأنوار، حيث شكّل "مبدأ الذاتية" الأساس الفلسفي للحدثة، وحيث الذات المفكرة مركز الكون ومحددة لكل الأشياء من حولها، وهو الاتجاه الذي عرف بالعقلاني، والذي جعل من العقل مصدر كل معرفة ممكنة.

الاتجاه الثاني، وفي مقابل الأول، يرى أصل المعارف الحقيقية خارج ذواتنا، وعلينا أن نبحث عنها في الموضوعات من حولنا، وهو الاتجاه الذي عرف بالتجريبي، متأثراً بالفلسفة الوضعية، فالحقائق ينبغي اكتشافها عن طريق التجربة التي لا تركز إلى أوهام الذات وأفكارها المسبقة.¹

إن موضوع المعرفة من الموضوعات المهمة في مجال أصول الدين، وقد تكلم عنه كثير من العلماء السابقين، وذلك لأهميته ومن هولاء العلماء ابن حزم الأندلسي الذي له سهم كبير في خدمة الإسلام والمسلمين بشكل واسع في شتى المجالات العلمية وقد كان ميدان الفكر والأديان من أهم الميادين التي تركزت فيها جهوده. ومن ضمن كتب ابن حزم التي تعرض فيها للحديث عن المعرفة كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل** الذي نحن بصدد دراسته، وابن حزم في هذا الكتاب قد بذل جهده وسعيه لبيان جوانب مهمة من هذا الموضوع في هذا الكتاب.

مشكلة البحث

لاشك أن نظرية المعرفة هي الأساس الذي ينطلق منه أى مفكر لبناء رؤيته الكونية عما هو كائن بالنسبة للمبدأ الأول للوجود والعالم والإنسان، والتي تتبلور على أساسها الأيديولوجية العملية المتعلقة بما ينبغي أن يكون، والتي تنعكس بدورها على السلوك الاختياري للإنسان في هذا الكون والحياة.

إنّ موضوع المعرفة ومسالكه هام لكل طالب ومفكر يريد أن يفهم دينه وينشره في العصر الحاضر. وقد بذل العلماء جهدهم منذ قرون طويلة عبر التاريخ لتعيين مفهوم المعرفة وشروطها وضوابطها، ومن قام بهذه المهمة الإمام ابن حزم الأندلسي في العديد من مؤلفاته، لعل أبرزها كتابه الشهير المتميز المسمى **الفصل في الملل والأهواء والنحل**.

¹ انظر: خالد زروال، في نظرية المعرفة: الأسس و المؤاخذات،

<http://khalid-sociologie.blogspot.com/2011/01/blog-post_4640.html>

ومن هنا فقد جاء هذا البحث لإلقاء الضوء على الدور الذي لعبه الإمام ابن حزم في مجال المعرفة وتبين مسارها كما يحاول أن يوضح من خلال هذه الدراسة مدى تلاؤم جهود ابن حزم والتزامه بالمنهج النقلي والعقلي معاً.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف استطاع ابن حزم رغم ظاهرته وتقيده بالنصوص، أن يبين منهج معرفي استخدمه بعمق في دراسته عن الموضوعات الفلسفية المتعلقة بالأديان والأفكار والآراء وكيفية تعامله مع الآخرين في المجال المعرفي.

أسئلة البحث

ولذلك سيركز البحث حول الأسئلة التالية:

١. من ابن حزم وما كتابه الفصل؟
٢. ما ماهية المعرفة عند ابن حزم؟
٣. ما مصادر المعرفة عند ابن حزم؟
٤. ما الأدوات المعرفية التي استفاد منها ابن حزم في كتابه الفصل؟
٥. ما أثر ظاهرته في نظريته المعرفية وما مدى تأثيره بمناهج الآخرين؟

أهداف البحث

فإن البحث يهدف لتحقيق الأهداف التالية:

١. التعريف بابن حزم وكتابه الفصل.
٢. الوقوف على ماهية المعرفة ومصادرها التي سار عليها ابن حزم في كتابه الفصل.
٣. بيان الأدوات التي استفاد منها ابن حزم في كتابه الفصل.
٤. أثر ظاهرته في رؤيته للمعرفة وعدم تأثر ابن حزم بالمتقدمين من المسلمين.

حدود البحث

انصرف الباحث إلى تحليل كتاب ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل بالتركيز على الجزء الأول واستخراج أفكاره في شتى المجالات العلمية التي تكلم عنها ابن حزم وقد كان

ميدان الفكر والأديان من أهم الميادين التي بذل فيها سعيه وتركزت فيها جهوده، وسيحاول كشف أفكاره وخاصة الأمور التي تتعلق بالعلم والمعرفة.

منهج البحث

١. **المنهج الاستقرائي:** يمكن للحصول على هذا الأمر الرجوع إلى الكتب المتعددة التي يكون لهذا الامام في الاعتقاد والفكر الاسلامي، وأكثر تركيزنا على كتاب الفصل.

٢. **المنهج التحليلي:** وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج، وبين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، وذلك بتفحص الكتب الامام بحثاً عن المعلومات ذات الصلة بالموضوع وكيفية استدلالهما.

الدراسات السابقة

قام الباحث قبل كتابة البحث بالاطلاع على الدراسات السابقة في مجال نظرية المعرفة عند ابن حزم، وحسب اطلاعه المتواضع لم يجد الباحث دراسة مستقلة عن نظرية المعرفة عند ابن حزم في كتابه الفصل، فالذين تحدثوا عن هذا الموضوع، تحدثوا عنه بشكل مجزأ وعلى سبيل الاختصار، وقد كان من بين الدراسات التي تم الاطلاع عليها ما يلي:

ولعل كتاب (ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري) محاولة الدكتور عبد الحليم عويس^٢ تُعدّ خطوة رائدة في هذا المجال، يتحدث عن قضايا الفكر التاريخي وأسلوبه في معالجة التاريخ وتطبيق منهج الظاهرية في التاريخ، وأيضاً يتحدث عن الحضارة عند ابن حزم ويناقش فكره الاقتصادي والاجتماعي وفي النهاية يذكر منهج ابن حزم في تناول العقائد والمذاهب والدراسة اليهودية والنصرانية.

يُعدّ هذا الكتاب محاولة مثمرة من الكاتب ومن الدراسات الرئيسة في هذا الموضوع، وسيكون لي عوناً كبيراً في تعريف المعرفة عند ابن حزم، لسبب كونه من الكتب التي ناقش

^٢ عبدالحليم عويس، ابن حزم الأندلسي و جهوده في البحث التاريخي و الحضاري، (دار الاعتصام، ١٩٧٩).

فيها المؤلف نقاشا علميا مؤثرا يدل على سعة علمه وثقة ذهنه، ولكن الباحث يشير هنا إلى أن هذا الكتاب ما ركّز على المعرفة في كتاب الفصل وهذا ما سيقوم به الباحث في دراسته.

ومن أهمّ المباحث المعاصرة في هذا الموضوع، كتاب (ظاهرية ابن حزم الأندلسي نظرية المعرفة ومناهج البحث) للمؤلف أنور خالد الزعبي^٣ وهذا الكتاب يشير إلى مناهج التحليل الظاهري والتجريبي والتاريخي عند ابن حزم ولعل أبرزها وأقربها بهذا البحث، الفصل الأول الذي ناقش فيه الباحث عملية البحث عن اليقين لدى ابن حزم في جانبين:

الأول: جانب نقدي سلمي قوامه التبصر بالعيوب الشخصية والمنهجية التي تعترض عملية البحث عن اليقين.

الثاني: جانب نقدي إيجابي قوامه الاستعمال الدقيق لمنهجية متماسكة.

كما يلاحظ؛ جلّ موضوعات هذا الكتاب تتناول مناهج البحث عند ابن حزم وأيضاً يتحدث عن أصول ظاهرية ابن حزم ومنهج التحليل الظاهري، ويشير إلى نظرية المعرفة في مبحث «الطريق إلى اليقين» ولكن مختصراً وغير مكتمل فسيحاول الباحث تكميل هذا الجانب في بحثه.

ومن كتب المعاصرين، كتاب ابن حزم وآراه الأصولية للدكتور محمد بنغمر^٤ درس المؤلف موضوع الدليل الأصولي دراسة تحليلية، وقسم دراسته إلى باين:

الباب الأول، يذكر المؤلف الدليل النقلي عند الأصوليين ويقارنه مع الدليل النقلي عند ابن حزم ويذكر مصادر الأدلة النقلية عند ابن حزم وذلك القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع، وفي الباب الثاني يذكر الدليل العقلي عند الأصوليين ويذكر آراء الأصوليين حول حقيقة الدليل العقلي ومستوياته ومكوناته ويقارنه مع الدليل العقلي عند ابن حزم وتركيزه على القياس المنطقي والاستدلال بالبراهين المنطقية.

فهذا الكتاب يتناول تفصيل الدليل النقلي والعقلي بصورة عامة، لاسيما حديثه عن الدليل العقلي والبراهين المنطقية، لكن هذه الدراسة هي عن وجهة نظر الأصوليين تناقش آراء

^٣ أنور خالد الزعبي، ظاهرية ابن حزم الأندلسي نظرية المعرفة ومناهج البحث (المملكة العربية الهاشمية الأردنية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار البشير للنشر والتوزيع، د ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م).

^٤ محمد بنغمر، ابن حزم وآراه الأصولية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م).

الأصوليين في الموضوع ولا تُشير الى كتاب الفصل ومنهج ابن حزم في هذا الكتاب وكيفية استدلاله ومناقشته مع اليهودية والنصرانية وسائر الملل والنحل.

ومن الدراسات المهمة في هذا الموضوع كتاب ابن حزم حياته وعصره-آراؤه وفقهه، للأستاذ محمد أبو زهرة^٥ تحدث عن ابن حزم وقسم بحثه إلى قسمين: في القسم الأول يتكلم عن حياة ابن حزم وعصره وفي القسم الثاني يشير إلى آرائه وفقهه. تناول الكتاب مسألة موقف ابن حزم من الفرق السياسية مثل الشيعة والخوارج والإباضية وموقفه من الفرق الاعتقادية مثل الجبرية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وأيضاً يتحدث عن منهجه في الجدل ورأيه في وحدانية الذات والصفات وموقفه في مرتكب الكبيرة وفي النهاية يشير إلى أصول ابن حزم الفقهية.

يُعدّ هذا الكتاب محاولة مثمرة من الكاتب ومن الدراسات الرئيسة في هذا الموضوع، فهذا الكتاب يتناول المنهاج العقلي الذي اتبعه ابن حزم في دراساته، ولكن الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا الحالية هو أن هذا الكتاب لا تقوم بدراسة الأدوات المعرفية عند ابن حزم ولم يتطرق إلى كيفية استدلال ابن حزم في كتابه الفصل وهذا ما سأقوم به في دراستي.

ثم تأتي مقالة نظرية المعرفة عند ابن حزم في كتاب بحوث ومقارنات في تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة في الإسلام، للأستاذ عمر فروخ^٦ وكتب المؤلف مقالات عن تاريخ العلم والفلسفة عند العلماء المتقدمين مثل ابن حزم وغيره وجمع مقالاته في كتاب واحد ونشره بعنوان: بحوث ومقارنات في تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة في الإسلام.

يوزع الكاتب هذا الكتاب على بعض مباحث معرفية يذكر نظرية المعرفة عند بعض كبار علماء الاسلام مثل الفارابي وابن سينا وابن حزم والغزالي وابن رشد وابن خلدون. يشير الى حياته السياسية وتحمله الشدائد والمصائب التي واجهه في عصره، ثم يتبع بتعريف المعرفة عند ابن حزم وسبل المعرفة التي يتوصل بها إلى الحقيقة، ولكن ما صرح بتفصيل

^٥ محمد أبو زهرة، ابن حزم الأندلسي حياته وعصره- آراؤه وفقهه، (القاهرة: دار الفكر العربي، د ط، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

^٦ عمر فروخ، بحوث ومقارنات في تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة في الإسلام، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٦م).

نظرية المعرفة عند ابن حزم في كتابه الفصل وما أشار إلى علاقة ظاهرية ابن حزم في الفقه وأصول الفقه وعدم ظاهريته أحياناً في العلوم العقلية والكلامية.

ومن الدراسات المهمة في هذا الموضوع كتاب **أعلام الفكر الإسلامي** للأستاذ أحمد شوحان^٧ تحدث الكاتب عن أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ الإسلام، وقسم بحثه عن ابن حزم إلى قسمين: في القسم الأول يتكلم عن ترجمة ابن حزم وعصره، وفي القسم الثاني يشير إلى مكانته وتفكيره، وأيضاً يذكر منهجه في أصول الفقه وما مدى استقلال ابن حزم في بعض مباحث الأصولية كما شهد بذلك الزركلي فقال: (كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم: الحزمية)

وكما مرّ تشبه هذه الدراسة في بعض الجوانب النظرية الدراسة الحالية ولكن هذا البحث مختصر جداً ولم يتطرق إلى كيفية استدلال ابن حزم في هذا الجانب فسيكمل الباحث هذه النواقص في دراسته الحالية وسيركز عليها إضافة الى بيان مدى استقلال ابن حزم في أفكاره.

ويأتي كتاب **ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق** للمؤلف وديع واصف مصطفى^٨ تناول الكتاب مسألة موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق، ويشير إلى دواعي ابن حزم لأن يكون ظاهرياً، وأيضاً يذكر المنهج الظاهري في علوم الدين والمعرفة عند ابن حزم، وأيضاً يتحدث عن ابن حزم وموقفه من المنطق ويشير إلى مصادر ابن حزم في دراسته للمنطق.

فهذا الكتاب يتناول دواعي ابن حزم لأن يكون ظاهرياً، وسوف يستفيد منه الباحث من هذه الناحية، لا سيما حديثه عن المنهج الظاهري في المعرفة وأصول الدين، ولكن الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا الحالية، هو أن هذه الدراسة أكدت على ظاهرية ابن حزم ونحن نريد أن نذكر أن لابن حزم في مجال أصول الدين وقضايا معرفية كانت له أسلوب خاصاً

^٧ أحمد شوحان، **أعلام الفكر الإسلامي**، (د مط، مكتبة التراث، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

^٨ وديع واصف مصطفى، **ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق**، (أبوظبي: الجمع الثقافي، د ط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

مستقلاً بنفسه يدل على عدم ظاهرته أحياناً وعدم التزامه بنفس المنهج التي سلك في الفقه وأصول الفقه.

فنظراً لما سبق من عرض الدراسات السابقة التي استطاع الباحث الحصول عليها، تبين له أنّ الموضوع درس في بعض المسائل بينما هناك أمور لم يتطرق إليها الدراسات السابقة، وهي: نظرية المعرفة عند ابن حزم في كتاب الفصل، وظاهرية ابن حزم في مجال المعرفي ومدى استقلاله في هذا الجانب فسوف تقوم هذه الدراسة بحل هذه النواقص والإشكاليات - إن شاء الله تعالى -.

الفصل الثاني

ترجمة ابن حزم

اسمه ونسبه

هو: "الإمام ذو الفنون والمعارف، الفقيه: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي؛ مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي رضي الله عنه . المعروف بيزيد الخير^١ نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على دمشق. فكان جده يزيد؛ مولىً للأمير يزيد أخي معاوية، وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل^٢. كما ذكر الذهبي في التعريف به.

وقد ذُكر أنه ينتمي لأسرة فارسية، وذلك أن جده يزيد كان فارسياً وكان مولى ليزيد بن أبي سفيان أخي معاوية الذي ولاه أبوبكر إمرة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام.^٣ وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف عبد الرحمن الداخل.

وعلى ذلك فهو قرشي بالولاء، وفارسي بالجنس، هذا ما يقرره الأكثرون من المؤرخين. أمام هذا الواقع نقول إن هناك اختلافاً بين كثير من الباحثين، القدماء والمحدثين حول أصله

^١ أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنيناً، وهو أحد الأمراء الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، ولما فتحت دمشق؛ أمره عمر عليها. توفي في الطاعون سنة (٥١٨هـ).

^٢ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمود شاكر (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٧هـ/١٩٨٠م)، ج ١٢، ص ٣٨٧.

^٣ انظر: من القدامى، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، البداية والنهاية (بيروت: دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ج ١٢، ص ٧٣. وأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ج ٢، ص ١٥٥، ومن المعاصرين، إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس دائرة المعارف العلمية (القاهرة: الشعب، د ط، د ١، ج ١، ص ١٥٩).

إسباني هو أم فارسي؟ من خلال وجهات النظر المختلفة لديهم، يمكننا أن نقسمهم إلى فرقتين: تؤكد الفرقة الأولى على انتماء ابن حزم إلى العجم الأسبان ويتصدرها أبو مروان ابن حيان فيروي عنه ياقوت في معجمه ما نصه: "وقد كان من غرائب انتمائه في فارس، وإتباع أهل بيته له في ذلك حقبة من الدهر، تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمة لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهدده الناس حامل الأبوة مولد الأرومة من عجم لبلة جده الأديني حديث بالإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة"^٤.

وترى من هذا النص الذي أورده صاحب معجم البلدان أن ابن حيان معاصره يشك في صحة نسبه لفارس، وفي أصل ولائه لبني أمية، ويذكر بأنه لم يكن قبل ذلك الادعاء معروفاً إلا بأنه من عجم لبلة^٥، وأن جده الأديني قد انتقل من النصرانية إلى الإسلام، وهو الوحيد من القدماء الذي أكد نسبة ابن حزم للعجم الأسبان. أما الفرقة الثانية فهي ترد سلالة ابن حزم إلى أصل فارسي وتؤكد ولائه لبني أمية، وهذه الفئة تضم كافة المؤرخين القدماء، والباحثين المحدثين.

كلام أبو مروان بن حيان فيه تضارب مع كلام الفتح بن خاقان، لأن الفتح بن خاقان يقول: "إن بني حزم فتية أدب وثنية مجد وحسب، فلهم مجد وحسب ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كانت لهم عراقية وشهرة. وفوق ذلك فإن النسب الفارسي أثبت له المقري، والذهبي وغيرهما في تاريخه ويكاد يكون موضوع إجماع. ولقد قال الذهبي في تاريخه نقلاً عن صاعد وهو معاصر ابن حزم والعلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي"^٦.

^٤ أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، معجم الأدباء، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج ١٢، ص

^٥ لبلة بفتح اللامين وبينهما باء موحدة ساكنة وفي الأخير هاء ساكنة، بلدة بالأندلس، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢، ص ١٥٧.

^٦ أحمد بن محمد بن المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: الدكتور إحسان عباس (بيروت: دار صادر، دط، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

ولا شك أن نسبته إلى الفرس هي المشهورة، وقد نقله كثيرون عن القاضى صاعد الجياني، وهو معاصر ابن حزم ذكر ذلك عن نفسه، ولم يكذبه أحد من معاصريه إلا ما شك به ابن حيان، ولعله من تشنيع الفقهاء الذين ناضلهم ابن حزم وكان عنيفاً في نضاله معهم، ومجادلته إياهم، ولذلك لا نستطيع أن نكذب دعواه، لمجرد ما يثيره خصومه من قول قد تكون العداوة هي الدافعة إليه.^٧

ولكن واقع الحال يظهر أن الرجل لم يكن مشغولاً بهذه الهواجس كثيراً، أعربي هو أم إسباني؟ فهل كان ابن حزم من السلالة الفاتحة للأندلس؟ أم كان من المولدين المنحدرين من تلك الأجناس التي كانت تسكن شبه الجزيرة إيبيريا عشية الفتح؟ وهل كانت لهذه الأسرة الحزمية جذور ضاربة في الإسلام، أم أنها عرفت الإسلام مع حركة الفتح القادمة؟ وعلى الرغم من كل ذلك فالأسرة الحزمية لم تكن نكرة في التاريخ السياسي للأندلس، وسواء أكانت من الأسر الأسبانية التي كانت تدين بالنصرانية ثم دخلت الإسلام بعد الفتح أم أنها كانت موصولة الأصول بالعقيدة الإسلامية قبل الفتح وقبل الأندلس، فالأسرة صنعت تاريخها بنفسها حين انتقل الجد الأكبر من مدينة لبلة إلى مركز الحكم في قرطبة.^٨

مكانته العلمية

يقول أبو زهرة: "لم يعرف التاريخ قبل ابن حزم عالماً جمع بين ضروب العلم المختلفة ما جمعه ابن حزم، فهو الكاتب الأديب، وله حوض في علوم الفلسفة والمنطق، وكان جريئاً فيها كما كان جريئاً في غيرها. فهو يخطئ أرسطو في منطقته وينهج في المنطق منهاجا يخالفه، ويتقصى التاريخ ويدونه متحريراً الحقيقة، وهو بذلك المؤرخ العميق النظرة، ويكتب في أدق أجزاء التاريخ وهو الأنساب، ويخرج من كل ذلك العلم المحقق المستوعب"^٩.

^٧ انظر: أبو زهرة، ابن حزم الأندلسي حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص ٢٢.

^٨ انظر: عبدالله بن علي الزيدان، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات (الرياض: مكتبة ملك عبدالعزيز العامة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) القسم الأول، ص ١٣٦.

^٩ أبو زهرة، ابن حزم الأندلسي حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص ٥٢.

وهو فوق ذلك العالم بالملل والنحل بالفرق الإسلامية غير الإسلامية، والعليم بوجوه الرد على غير المسلمين، والعليم بالفرق بين الفرق معرفة دقيقة، حيث يذكر تاريخهم وكيفية نشأتهم واعتقاداتهم.

قال ابن حيان وغيره: "كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط، وكان شافعي المذهب، يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهرياً، فوضع الكتب في هذا المذهب"^{١٠}.

والاستشهاد بقول ابن حيان، أو غيره من العلماء، لإبراز مكانة ابن حزم العلمية، وحده لا يكفي بل لابد من عملية دقيقة لاكتشاف المواهب العلمية في فكر ابن حزم، وإلى أي مدى استطاع أن يدفع بالعلوم خطوات إلى الأمام.

وقال صاعد في تاريخه: "كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسيرو الأخبار، أحبرني ابنه الفضل أنه عنده بخط أبيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد، نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي"^{١١}.

وقد اشتغل في عنفوان شبابه بالوزارة في عهد المظفر بن المنصور العامري، ثم ما لبث أن أعرض عن الرياسة وتفرغ لتحصيل العلوم والفنون، اشتغل بالعلوم الشرعية النافعة وفاق أهل زمانه.

وصنف الكتب المشهورة وقد رزقه الله عز وجل ذكاءً مفرطاً وذهناً سيالاً كما يعترف بذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيقول: "وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه"^{١٢}.

وكما يذكر عن نفسه جمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات روايات كثيراً وسمع سماعاً جمياً، وأول سماعه من ابن الجسور قبل الأربعمائة- الى أن قال -وما رأينا

^{١٠} التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص ٧٨.

^{١١} الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢، ص ٣٨٨.

^{١٢} المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٨.

مثله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس، والتدين. وكان له في الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل.^{١٣}

يُعدّ ابن حزم من أكثر علماء الإسلام تأليفاً وتصنيفاً، فلقد كان مجتهداً مطلقاً وقد كتب كتباً ورسائلًا في شتى فروع العلم، الفقه، الحديث، الأصول، الأدب والشعر والبلاغة، والنسب والتاريخ. وإليك ما نقله إلينا المؤرخون من كتب ابن حزم:

١. إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
٢. الإحكام في أصول الأحكام.
٣. الأخلاق والسير.
٤. الأصول والفروع.
٥. الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس.
٦. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية.
٧. جمهرة أنساب العرب.
٨. حجّة الوداع.
٩. الدرّة فيما يجب اعتقاده.
١٠. ديوان ابن حزم.
١١. السيرة النبوية.
١٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل.
١٣. المجلّي باختصار على ما أوجبه القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
١٤. مجموع رسائل ابن حزم.
١٥. المحلّي بالآثار شرح المجلّي باختصار على ما أوجبه القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
١٦. طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفه والألاف.

^{١٣} انظر: ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق: لجنة التراث العربي (دار الآفاق الجديدة، ط ٣ ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ص ٦.